في ٧ كانون الأول ٢٠٠٦

«إلى إخوتي الخمسة»

مسيرة تريزا إلى الجلجلة

اجتاح سواد الحزن والكآبة طفولة تريزا من خلال علاقتها بوالدتها، ما أثّر في أعماقها فصارت تؤثر الإنطواء على ذاتها، وانقضت سنوات عدة حتى تمكّنت أخيراً من استعادة طبعها الفرِح. كسّرت طوق الذاتية، وانفتحت على حب الآخرين.

تحاكي مسيرة تريزا حياة الابن الضال:

فقد قضت ربع قرن هائمة على وجه الأرض لتعرف أخيراً حب الإله السماوي. تمكّنت بفعل الروح القدس من الصبر إزاء محن وشدائد عرفتها في سن مبكرة كـ «حرمانها الحب» لكنّها في آخر المطاف قطفت ثمار صبرها أضعافاً مضاعفة.

إن حبة الحنطة إن لم تمت تبقَ مفردة، وإذا ماتت أعطت ثماراً كثيرة. إن الصراع الأساسي للقديسة تريزا هو عدم شعورها بمحبة والدتها منذ لحظة ولادتها.

كانت السيدة زيلي مارتين تحلم بإنجاب ولد صبي غير أن آمالها تبددت عندما رُزِقَت بتريزا فصُدمت بحالة من النفور، وبالرغم من أنها لم تدم طويلاً إلاّ أنها جرحت تريزا في الصميم، وبعد شهرين تقريباً انقطعت السيدة زيلي عن إطعام طفلتها، وأوكلت المهمة إلى مرضاعة.

من هنا برزت حاجة تريزا المتزايدة إلى حنان أمها وعطفها فلم تبتسم الطفلة بوجه أمّها إلا بعد مرور حوالي ثمانية عشر شهراً تقريباً.

نرى إذاً ان طفولة القديسة تريزا اتسمت بمرحلة «مركزية الذات» بحيث جذبت اهتمام كل أفراد عائلتها ومن ثم بمرحلة تذنيب النفس (وهي وسيلة أخرى للسيطرة) انتهت هذه المرحلة مع «نعمة عيد الميلاد» عام ١٨٨٦ حين استهوت القديسة تريزا رغبة «تخليص النفوس مع يسوع». ساعد النضوج الروحي في الكرمل تريزا على اكتشاف دعوتها الحقيقية بأن تكون «المحبة في قلب الكنيسة» وبأن تنشر المحبة الغفورة. فقد اكتشفت تريزا تعطشها للحب بيسوع وأصبحت بدل أن تسعى إلى استقطاب محبة الآخرين تبادر إلى تقديمها إليهم. باتت مفعمة بالعطف الإلهي وأعمالها كلها نابعة من القلب ودافعها المحبة.

وها هي تريزا جاهزة لتَخَطّي الحياة الدنيوية فتدخل الحياة الحقيقية السامية.

ولا تزال تريزا حتى اليوم قدوة لكل مَن دُعي إلى طريق الجلجلة، وكل حسب قدراته. فهي تعلّم ذاتيّ المركز إن الحب ما هو إلا تقديم كل ما نملك حتى ذاتنا، وهي تحث الخطأة والفاترين للعودة إلى التوبة، تَعِظ الماديّين وأصحاب النفوذ عن جوهر الحياة وسموّ الروح، تطمئن الخائفين، تعلّمهم كيفية الثقة بالنفس، تنير كل الجهال، وتشيرهم إلى درب التواضع.